العنصرية الإيرانية ضد العرب.. تاريخ من الازدراء والحقد الأسود

إسراء حبيب

■■ في عام ٢٠١٥، انتشرت على نطاق واسع في أوساط الشباب الإيراني أغنية راب عنصرية أذيعت بترخيص من وزارة الثقافة اسمها «كش عرب»، وهي الكلمة التي تقال في لعبة الشطرنج، ومعناها «مات» أي أن رسالة هذه الأغنية هي «اقتل عربيا»!

وتقول كلمات هذه الأغنية العنصرية الفجة المتداولة حتى الآن في إيران: «لم أكن يوما ما أحب أكلَة الجراد هؤلاء» وهو تعبير فارسي قديم يستخدم للدلالة على العرب، مثله مثل «أكلَة الضب» وكلماتها الموجهة إلى الملك الفارسي القديم «قوروش» الذي بات رمزا للقوميين الإيرانيين المتطرفين، تخاطبه قائلة «انهض يا قوروش، فقد بلغ الأمر بنا، ليتم تهديدنا من قبل العرب (..) وقسما بالخليج الفارسي، سنقضي على اسمكم، وسنضرب رقاب جميعكم عند مقبرة قوروش، ولو أخطأتم ستدفعون الثمن في الرياض، ومن اليوم فصاعدا بات اسمي قاتل العرب»!

هتافات عنصرية في طهران

يرى المراقبون السياسيون أن إيران تسعى بشكل ممهنج إلى بث الكراهية والعنصرية ضد العرب في أوساط الشباب، مستخدمة في ذلك أدواتهم، ومنها الألعاب الإلكترونية وأغاني الراب. ويضج موقع «تويتر» بالحملات العنصرية ضد العرب بالتزامن مع التدخل السافر لإيران في شؤون الدول العربية.

ففي سبتمبر من العام نفسه، ٢٠١٦، هتف عدد كبير من المشجعين الإيرانيين بشعارات عنصرية معادية للعرب، أثناء مباراة منتخب بلادهم مع المنتخب القطري في ملعب «آزادي» بالعاصمة طهران.

وردا على ذلك، أصدر مركز «مناهضة العنصرية ومعاداة العرب» في إيران، الذي يديره ناشطو الأهواز، بيانا أدان فيه هذه الهتافات العنصرية، وطالب الشخصيات ووسائل الإعلام والقوى الديمقراطية والمناهضة للعنصرية في إيران وخارجها باتخاذ موقف حاسم تجاه الخطاب المعادي للعرب في إيران.

وجاء في البيان: «ليست هذه المرة الأولى التي يهتف فيها الجمهور الرياضي الإيراني بعبارات عنصرية، حيث سبق أن هتف هذا الجمهور ضد العرب والأتراك في إيران من ملعب آزادي في طهران وملاعب مدن أخرى منها أصفهان وكرمان وغيرها، كما أن عناوين الصحف والجرائد الرياضية وغير الرياضية الفارسية مملوءة بالخطاب العنصري المعادي للعرب بشكل خاص».

وأكد المركز أن «النظام الإيراني متواطئ مع العنصريين الذين يروجون الخطاب المعادي للعرب، وذلك بهدف كسب القوميين المتطرفين من جهة، وأيضاً لتجييش الرأي العام الإيراني بهدف تبرير تدخلاته العسكرية في الدول العربية، من جهة أخرى».

وفي هذا الصدد، قال عيسى مهدي الفاخر، عضو المكتب الإعلامي لحركة «النضال العربي لتحرير الأحواز»: إن المدارس الإيرانية تشهد نوعا من الممارسات العنصرية ضد الطلاب العرب الملتحقين بها، موضحا أن واقعة إجبار مدرس إيراني لطالبين عربيين في إحدى المدارس على غسل فمهما بالماء والصابون بعد تحدثهما بالعربية، تعكس مدى الكراهية الشديدة من قبل المدرس

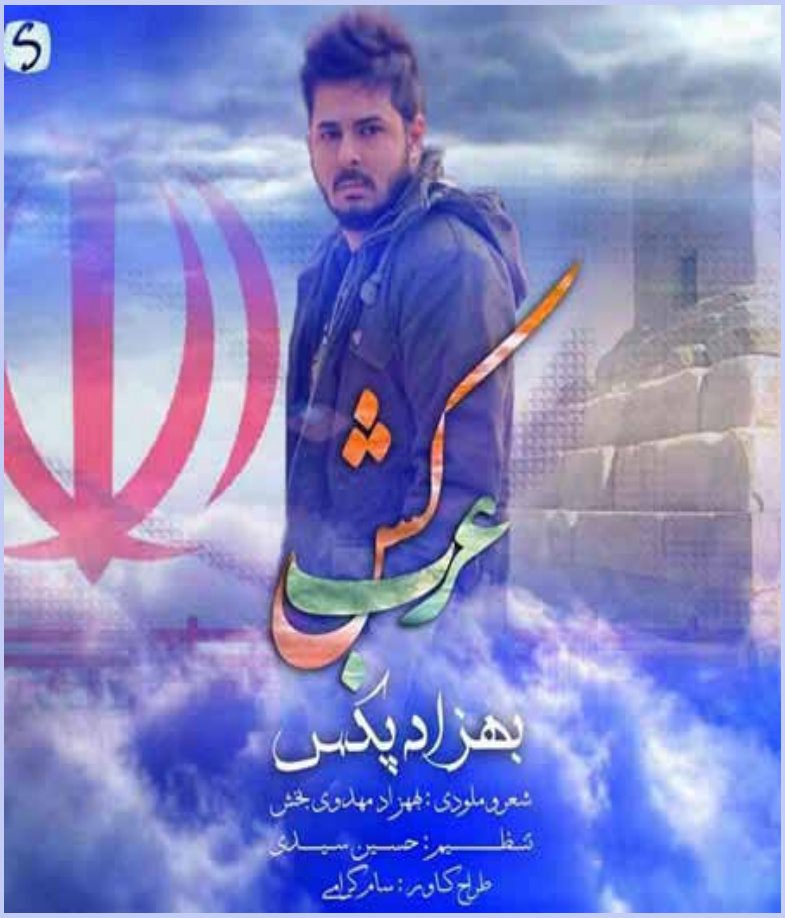

للغة التي نزل بها القرآن الكريم، مؤكدًا أن التمييز العنصري الذي تمارسه دائرة التربية والتعليم بكافة فروعها في الأحواز «يندى له الجبين».

وأوضح «الفاخر» أنه «دائما ما يكون الاهتمام منصب على أبناء المستوطنين الفرس دون غيرهم من الطلاب العرب الأحوازيين، عبر إرسال طلاب المستوطنين إلى أفضل وأرقى المدارس أو تجهيز المدارس التي تقع في المستوطنات أو الأحياء الاستيطانية بكافة المستلزمات، في حين أن المدارس التي تدرس فيها الطلاب العرب وخاصة التي تقع في ضواحي المدن أو في القرى مهمشة وتنقصها حتى أبسط المستلزمات التعليمية».

صورة «العربي القبيح»

تظهر عنصرية الإيرانيين نظاماً ومحكومين في تعاملهم مع العرب بشكل خاص، فرغم أن العرب يمثلون قرابة ١٠٪ من الشعب الإيراني، فإنهم ممنوعون من ارتداء الزي العربي وكذلك من تعلم العربية. وغيرت إيران أسماء المدن العربية إلى فارسية، وهي تمنع العرب من إكمال الدراسات العليا ومن تولي المناصب القيادية والقضائية.

وقد تنامى هذا الشعور بين شريحة كبيرة من جيل الشباب الإيراني ما بعد ثورة ١٩٧٩، وكان يغذيه الغضب من تراجع الحريات ومشاعر الحنين إلى الماضي وأمجاد أسلافهم وأساطير مشفوعة بالحقد والضغينة ضد العرب، وقد روج عدد كبير من الأدباء والشعراء لهذه المشاعر، حيث قدموا صورة قبيحة للعنصر العربي في مقابل العنصر الفارسي الجميل، من بين هؤلاء الأديب الروائي صادق هدايت، مؤلف الرواية المشهور «البومة العمياء» حيث صب هدايت مشاعر حقده ضد

دراسة سويدية: إيران هي الثانية عالمياً في مجال «المشاعر العنصرية» ولا تسبقها في ذلك سوى الهند

العرب في غالبية آثاره الأدبية، ومنها «بروين بنت الساسان» التي صوّر فيها وحشية العرب خلال الفتح الإسلامي لبلاد فارس، وكيف تم اغتصاب بطلة الرواية على يد «عربي متوحش».

وحسب دراسة سويدية أجريت العام الماضي ٢٠١٦، فإن إيران هي الثانية عالمياً في مجال المشاعر العنصرية، ولا تسبقها في ذلك سوى الهند، وفق استطلاع شمل نحو ٨٠ دولة، قامت به مجموعة من الباحثين السويديين، للتعرف على تعامل الدول مع الأعراق المتنوعة فيها.

نعم.. نحن نكره العرب!

من جهة أخرى، اعترف الدكتور صادق زيبا كلام، الأستاذ بجامعة طهران، في حوار مع أسبوعية «صبح آزادي» الإيرانية، بالكراهية التي يكنها مواطنوه للعرب والشعوب القوميات الأخرى غير الفارسية في البلاد بشكل خاص، قائلا: «أعتقد أن الكثير من الإيرانيين سواء أكان متديناً أو علمانياً يكره العرب. ومنذ الحقبة الملكية كان الأمر على هذا المنوال، حيث كانت تسود إيران نظرة تحطّ من شأن العربي، وهي صورة مستمرة إلى يومنا هذا، وأنا أريد أن أؤكد أكثر من ذلك، فأقول إن الدوافع من وراء تأسيس مجمع اللغة الفارسية كانت طرد الكلمات والمصطلحات العربية من الفارسية، وهذا يدل على حقدنا تجاه العرب».

وأضاف د. زيبا كلام، المغضوب عليه من الحكام الملالي: «وللأسف أنا واثق من أن الكثير منا - نحن الإيرانيين - عنصريون، فلو نظرتم بإمعان إلى ثقافات الشعوب الأخرى تجاه سائر القوميات والشعوب والإثنيات الأخرى، وعلى رأسهم الجنس العربي».

وأكد زيبا كلام أن نظرة الإيرانيين تجاه العرب شاهداً آخر على عنصرية الإيرانيين، مضيفاً: «أعتقد أن الكثير من الإيرانيين يكرهون العرب، ولا فرق بين المتدين وغير المتدين في هذا المجال، فالحقد والضغينة تجاه أهل السنة ورموزهم لدى الكثير من الإيرانيين هو في واقع الأمر الوجه الآخر للحقد على العرب».

وفي إشارة إلى الأسباب التاريخية لكره العرب، قال زيبا كلام: «يبدو أننا كإيرانيين لم ننس بعد هزيمتنا التاريخية أمام العرب، ولم ننس موقعة القادسية بعد مرور ١٤٠٠ عام عليها، فنخفي في أعماقنا ضغينة وحقداً دفينين تجاه العرب وكأنها نار تحت الرماد قد تتحول إلى لهيب كلما سنحت لها الفرصة».

ويبدو أن الممارسات العنصرية في إيران هي القاعدة وليست الاستثناء، ففي أعياد رأس السنة الفارسية تظهر كل عام شخصية من الفولكلور الفارسي القديم اسمها «حجي فيروز» وهو مهرج أسود البشرة، للسخرية من الملونين، ووصل الأمر إلى حد وصف الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد، للرئيس الأمريكي باراك أوباما بأنه «عبد البيت الأبيض»!

ويتمحور الحقد الفارسي الصفوي حاليا في طلب الانتقام من العرب، ويمتد من الضغينة مرورا بالنقمة وصولا إلى الغِل، ويمكن مشاهدة هذه المصطلحات وقد ترجمها قادة النظام الفارسي الحاكم على أرض الواقع في داخل وخارج إيران، وما تتعرض له الشعوب غير الفارسية في إيران من مهانة وتعذيب وتهميش وازدراء، تعد نموذجا عمليا من نماذج الحقد الفارسي تجاه الأمة العربية.

كتاب العدد

«إيران الخفية»

سياسة إيران الخارجية تجاه تلك المحاور تسير فيها الأيديولوجية والمصالح القومية جنباً إلى جنب، وقد اتسمت مقاربة إيران تجاه جيرانها الشماليين والشرقيين بالواقعية الدائمة، على النقيض من سياستها في الخليج والمشرق العربيين.

وتجلت براغماتية إيران بأوضح صورها خلال الأزمة الشيشانية؛ حيث أصدرت بياناً عدت فيه المسألة شأناً روسيّاً داخليّاً، وتجاهلت مأساة الشيشانيين إلى حد كبير، بالرغم من البعد الإسلامي لقضيتهم، بعدما رأت أن مصالحها تكمن في عدم استثارة عداء روسيا، وقد سعت الجمهورية الإسلامية عند صياغة سياستها الإقليمية إلى المزاوجة بين جانبين متباينين للهوية الإيرانية: القومية الفارسية، والمذهبية الشيعية.

وفي الفصل الرابع يوجز المنعطفات التي مرت بها العلاقات الأمريكية الإيرانية، من دور الولايات المتحدة في إسقاط حكومة مصدق، وأزمة الرهائن في السفارة التي كان هاجس عملية آجاكس ثانية من عواملها، مروراً بفضيحة إيران كونترا، والتي يرجعها إلى دور التيار البراغماتي برئاسة رفسنجاني الذي أنجز تلك العملية، وتدخل الخميني لحمايته، ثم طرح خاتمي لفكرة حوار الحضارات، ورغبته في تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة التي اعترض عليها المحافظون (الإيرانيون)، وأفشلوها باستمرار، وتردد إدارة كلينتون في تغيير سياستها اتجاه إيران من جهة أخرى.

أما الفصل الخامس؛ فقد خصصه لتأثيرات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على العلاقة بين الطرفين، والتي أدرك علماء الدين الإيرانيون أن مرحلة جديدة قد ابتدأت بوقوع تلك الهجمات، وساد الإجماع بينهم لمدة عابرة على ضرورة إقامة علاقة أكثر عقلانية مع الولايات المتحدة، في حين لم تتغير مواقف إدارة بوش من الأعداء السابقين، وعملت على إقامة شرق أوسط جديد، واستعرض المكاسب الجليلة التي غنمتها إيران بالإطاحة بألد أعدائها وهما: نظام الحكم في أفغانستان والعراق.